وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإجتماعية

التخصص: علـم الإجتمـــــــاع مكان المحاضرة: دروس عبر الخط

المستوى: السنة الثانية علم الإجتماع التوقيـت: 16:30 – 18:00

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر المعاصر

المشرف على المقياس: الدكتور/ رشيد العايدي

ملخص المحاضرة السادسة

ظهور الزعامات الوطنية ودولة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري

ظهور الزعامات الوطنية

ساد الإعتقاد لدى جنرالات فرنسا بعد إحتلالهم لمدينة الجزائر في الخامس جويلية 1830، أن أمر إحتلال باقي القطر الجزائري مسألة وقت فقط، وقد حسم بسقوط العاصمة ، وهو الأمر الذي دفع بقائد حملتها الجنرال دي بورمون يصرح لحكومته قائلا: "إن العرب ينظرون إلينا كمحررين لهم، وأن الجزائر ستصبح مفتوحة كلها وتحت نفوذنا قبل مضي خمسة عشر يوما"، غير أن بروز قيادات وطنية جزائرية خالصة تصدت بحزم للتوسع الفرنسي في كامل البلاد بتزعمهم لمقاومة وطنية شاملة، صعبت عليهم الأمر وأخرت مشروعهم هذا لمدة تقارب القرن منذ إحتلالهم لمدينة الجزائر.

وبالرغم من كل ما قيل حول إحتلال مدينة الجزائر، من سقوطها بسبب أخطاء تكتيكية وقيادية، إلا أن ذلك لا يجعلنا ننكر المقاومة المستميتة التي أبانها المقاومون ضد التواجد الفرنسي بالجزائر، وذلك بإعتراف الجنرال "كلوزيل" نفسه بقوله: "لم تقتصر مقاومة الجزائريين عند الدفاع عن القصر، بل إنهم قاوموا بضراوة في القصبة وعند باب عزون، وتميزت المقاومة داخل القلعة بالعناد والتنظيم، فكان المقاتلون يحتلون فورا مكان من يقتل، ولم يَتَخَلَّ سدنة الأسلحة عن أسلحتهم ومدافعهم إلا بعد أن أصبحت هذه الأسلحة معدومة الفائدة ومدمرة...".

إن تواجد معظم الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر، جعل من المقاومين يفكرون جديا في التمركز خارج مدينة الجزائر، وقد ساعدهم في ذلك إعلان الجهاد من طرف قادة وشيوخ القبائل والأماكن المجاورة والمحيطة بسهل متيجة وكل بايلك التيطري، الأمر الذي مكنهم من فرض حصارا على الجيش الفرنسي.

لقد تجسد الرفض الجزائري للإحتلال الفرنسي في بدايته، من خلال المقاومة التي إتخذت شكلين مختلفين، المقاومة السياسية والمقاومة المسلحة.

I. المقاومة السياسية

بالرغم من تعدد توجهات المقاومة السياسية، والتي تعود بالأساس إلى طبيعة الشخص المقاوم في حد ذاته وتوجهاته، وحتى الأسلوب الذي إعتمده في الوصول إلى تحقيق مطالبه، إلا أن معظمها كان يصب في التنديد بمشاريع فرنسا الاستيطانية، وضرورة إقامة الحكم المحلي الإسلامي للجزائر ، مع إحترام الدين واللغة والعادات والتقاليد، والحفاظ على المساجد والزوايا....

رغم تعيين السلطات الفرنسية لبعض الجزائريين في مناصب سياسية هامة، كما هو الشأن مع **محمود بن أمين السكة** الذي أولته منصب آغا العرب و **أحمد بوضربة** الذي تم تعيينه رئيسا لأول مجلس بلدي لمدينة الجزائر، إلا أنهما بمجرد إكتشافهما لحقيقة فرنسا ونوايا وأهداف سياس تها الإستعمارية؛ ندد ا بمشاريعها الاستيطانية ونادا بفكرة الحكم المحلي الإسلامي للجزائر، فما كان من الإدارة الفرنسية إلا أن تقوم بعزلهما من منصبيهما.

أما **حمدان بن عثمان خوجة** فقد دعا في بداية الاستعمار إلى التآخي والتعاون مع فرنسا بهدف إيقاف القتال، معتقدا أن الجزائريين لا طاقة لهم في المقاومة، لكن بعد وقوفه على حقيقة ونوايا الفرنسيين الاستعمارية؛ أصبح يرى فيهم رمزا للظلم والاستبداد، وقد ساهم قبوله لمنصب عضو بلدية العاصمة في البداية من رفض تسليم مسجد السيدة للجنرال كلوزيل ؛ الذي أراد تحويله إلى مسرح، كما دافع أيضا على أملاك مكة والمدينة ووقف في وجه الجنرال مؤكدا له على أنها وقف للفقر اء لا يجوز له ال تدخل أو التصرف فيها، ونتيجة لمواقفه المتكرر ة في الدفاع عن أبناء وطنه، عزله الجنرال كلوزيل من منصبه ، ليعين من جديد في لجنة التعويضات التي ساعد من خلالها أبناء وطنه من ناحية تقييم الخسائر الناتجة عن تهديم ومصادر ة أملاكهم، ومنه تمكينهم من الحصول على التعويضات المناسبة، إلا أن السلطات الفرنسية حلت اللجنة وأغلقت باب التعويضات نهائيا. وسافر إلى باريس من أجل إثارة الرأي العام الفرنسي وحتى الحكومة الفرنسية حول ما يجري في الجزائر،

تزعم حمدان خوجة أول حزب سياسي وطني وعرف بإسم "لجنة المغاربة" بدأ سرا ثم تحولت مطالبه إلى الإستقلال والجلاء من الجزائر، لقد كان لعدم رضاه عن الأوضاع السيئة التي تعيشها الجزائر؛ لاسيما عندما شاهد حال اليونان التي أصبحت دولة ذات سيادة بعد تحريرها من سيطرة الإمبرطورية العثمانية، وإستقلال الشعب البلجيكي وتأسيسه لدولته الحديثة بعد إنفصاله عن هولندا، وبالمقابل تواجه الجزائر لوحدها الغزو الفرنسي، أن

يصرح بالقول: "... إني حين أفكر بأن اليونانيين مدينون باستقلالهم إلى الفرنسيين ، وأن البلجيكيين مدينون إليهم أيضا بحريتهم... و إن الجزائريين لا يستحقوا أن يرمى بهم خارج المجموعة ؛ فهم جزء من العائلة البشرية الإنسانية...".

أرسل العديد من الرسائل والشكاوي لمختلف الشرائح فرنسا حتى الملك "لويس فيليب"؛ عدّد فيها تجاوزات الإدارة الإستعمارية وتعدِّيها على الحرمات والأملاك الخاصة وأملاك الوقف وحتى على العلماء والقضاة، كما دفع صديقه الإنجليزي بتحرير كراسته المشهورة "نداء من أجل الجزائر"، وواصل نشاطه الدبلوماسي حيث راسل السلطان العثماني "محمود الثاني" بتاريخ: 1833/08/16م محملا إياه ضياع الجزائر، كان من أهم ماجاء في إحدى مراسلاته قوله: "... إننا يوم القيامة سنتوجه إلى العلي جل شأنه قائلين إن سلطاننا قد تخلى عنا إلا أن السلطان يقول لقد كنت مشغولا بمشاكل أخرى وإيمان الله سوف لن يقبل منه هذا الجواب" وقال له أيضا: "إن الم سلمين الذين إستشهدوا ودفنوا في هاته التربة سوف يسألونك يوم الحساب لماذا تخليت عنهم".

لقد لعب حمدان خوجة دورا مفصليا في ربط الصلة بين الأمير عبد القادر ورجال الدولة العثمانية، كما سعى سعيا حثيثا في توحيد صفوف المقاومة بين الأمير عبد القادر أحمد باي ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، من خلال إرساله لرسالة إلى أحمد باي؛ مما جاء فيها: " والآن تحولت محبة عبد القادر الفرنسية إلى المخاصمة و إلى الحرب والعداوة، فسلط عليهم صناديد العرب، وأوقعوا بهم وكسروا شوكة الكفار، وأوهنوا قوتهم والحمد لله، فنرجوا أن يوافق ذلك مقترحكم، ويكون فيه لكم ر احة، إذا يمكنكم أن تسلطوا الحرب على الكفار بمن معكم من شجعان العرب... ونحن أخطرنا ذلك لكم فلن تفوتكم هذه الفرصة إن شاء الله".

بينما تجسد كفاح **المفتي محمد بن العنابي** في مقاومته الفكرية، السياسية والعسكرية للمستعمر، وقد تزامنت مقاومته العسكرية، بعد إ نهزام قائد الجيش إبراهيم باشا الذي لم يكن يملك الخبرة العسكرية ولا الحنكة القيادية، حيث فرّ مع بعض مقربيه إلى ضواحي التيطري ، وقد كان لعملية فرار قائد الجيش إنعكاسات سلبية وخطيرة على معنويات الجيش ككل، مما دفع بالداي حسين إلى إستدعاء المفتي محمد بن العنابي ليطلب منه جمع الشعب و إقناع الناس بالجهاد دفاعا عن الاسلام والبلاد وقيادة المقاومة لعرقلة تقدم الغزاة الفرنسيين، فقبِل بالمهمة وتقدم الصفوف، لكن الأمر كان قد قضي من قبل، وحسم الموقف لصالح الفرنسيين، فاضطر الداي إلى توقيع معاهدة الاستسلام، وقد طلبت السلطات الفرنسية من المفتي بن العنابي التعاون معها فرفض، بل تزعم

حركة معارضة نزع الممتلكات الاسلامية وتحويلها الى ثكنات ومستشفيات ، وذلك بعد إصدار الفرنسيين لجملة من القوانين الجائرة؛ والتي تقضي بحق التصرف التام في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء أو حتى البيع أو الهبة، كما دنسوا المقابر، واستخدموا الجثث والعظام في تصنيع الكربون، ودمروا المنازل لبناء قواعد عسكرية، وقد كاتب الجنرال كلوزيل عدة مرات في هذا الشأن، حيث إتسمت لهجته بالنقد للسلطات الإستعمارية على خرقها للإتفاق الموقع بين الداي حسين والكونت دي بورمون وخاصة المادة الخامسة (05) منه، وراسل زعماء القبائل يحثهم على الثورة والمقاومة والجهاد ضد الكفار ، وقد تفطنت له السلطات الاستعمارية، فتم توقيفه وسجنه بأمر من الجنرال الفرنسي كلوزيل (Closel) بدعوى تدبير مؤامرة ضد الفرنسيين وإعادة الحكم الإسلامي للجزائر، وتعرّضت أسرته للاضطهاد والاهانة ، ثم قرر كلوزيل نفيه من الجزائر في مهلة ضيقة، ولم يحصل له صديقه حمدان بن عثمان خوجة على مهلة عشرين يوما من أجل بيع أملاكه و تصفية ديونه إلا بصعوبة كبيرة، ثم ترك وطنه لآخر مرة سنة 1831، وإنتهى به الحال إلى مصر، فأقام بالإسكندرية مرة ثانية، وهناك ولاه "محمد علي"وظيفة الفتوى الحنفية.

لقد كان المفتي الذي كان شاعرا، أديبا، قاضيا، مُدرسا، دبلوماسيا، مفتيا... من الذين تنبهوا للأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية، فكان من أوائل المنادين لتقوية الجيش المسلم، وإعداده، وتنظيمه، وتحديثه، وإصلاحه، وألّف في ذلك كتابه المشهور: ((السعي المحمود في نظام الجنود)) وكان ذلك في مصر سنة 1826، وهو الكتاب الذي إنبهر به محمد علي وأمر بطبع وتوزيع نسخ منه على قادة جيشه.

II. المقاومة العسكرية

إختار أنصار المقاومة المسلحة طريق الجهاد المسلح العسكري مع الاستمرار في المقاومة، و قادهم زعماء القبائل والأعيان ورجال الدين، وقد جندوا سكان مدينة الجزائر والمتيجة لحصار الجيش الفرنسي في حدود مدينة الجزائر وعدم السماح له بتجاوزها، ومن ثم بدؤوا يخططون لشن هجوماتهم ضد الفرنسيين، وبالرغم من أن مقاومتهم ميزها التشتت وعدم الوحدة كما كانت متفرقة في أماكن عدة، إلا أنهم سرعان ما تحالفوا على أيدي الزعامات الدينية والأسرية مقررين التصدي للفرنسيين، وتطلق تسمية مقاومة أرياف متيجة على حركتهم الجهادية هذه، ويعد من أبرز قادتهم بن زعموم وسيدي علي السعدي والآغا محي الدين بن المبارك وغيرهم....

1 - ثورة الحاج محمد بن زعموم

تولى قيادة قبيلة فليسة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وقد قام بالتخطيط لمنع الجيش الفرنسي من التقدم نحو البليدة، مهاجما قوات دي بورمون أثناء عودتها من حملة البليدة، و قد اقتحم في نوفمبر 1830 المدينة ونجح في إبادة الحامية الفرنسية المرابطة بها، وتدعمت إنتصارات الحاج بن زعموم بالبليدة إثر انضمام كثير من زعماء

قبائل متيجة لمقاومته ومنهم الحاج سيدي السعدي، وتمكن في النصف الثاني من سنة 1831 من شن عدة هجمات ناجحة على المراكز الأمامية للفرنسيين بوادي الحراش.

2 - ثورة الحاج علي السعدي

نشأ الحاج علي السعدي داخل أسرة عرف عنها التدين والصلاح، غادرت مدينة الجزائر إثر دخول القوات الفرنسية إليها، وقد عمل الحاج السعدي على تجنيد قبيلته في سهل المتيجة، وكان من المؤيدين لمقاومة إبن زعموم في البليدة، وإستطاع بفضل تأثيره الديني من أن يدفع سكان عرب المتيجة لمهاجمة الأوروبيين في القليعة وبوفاريك، وقد خاض معركة كبرى ضد القوات الفرنسية في أكتوبر 1832، وبمجرد إعلان الأمير عبد القادر للجهاد وتوحيده للمقاومة؛ إنظم إليه الحاج علي السعدي برغبته الشخصية بعد أن رآه أهلا للقيادة.

3 - ثورة الآغا محي الدين بن المبارك

ساهم إ شتداد مقاومة المتيجة إلى تدهور أوضاع الجيش الفرنسي من جميع النواحي، الأمر الذي أدى بالجنرال "برتزين" من أجل تخفيف الضغط على الجيش، إلى مفاوضة أعيان بوفاريك، فنصحوه بالتقرب والإتصال بالحاج محي الدين كونه مؤهلا وله تأثير على سكان المتيجة للتوسط بينهموبين قوات الاحتلال لأنه يحضى بسمعة طيبة وزعامة دينية، وعليه تم الاتفاق على توليته آغا للعرب مقابل تعهد فرنسا بدفع مبلغ 70 ألف فرنك سنويا على أن يبقى الوضع كما هو عليه، وعند مجيء الجنرال " دو روفيقو" بسياسته البوليسية القمعية تنكر لكل الاتفاقات المبرمة بين الفرنسيين والآغا محي الدين ، فأعلن هذا الأخير الثورة على الفرنسيين، وعقد في سبتمبر 1832 اجتماعا تنسيقيا مع بن زعموم وسيدي علي السعدي دعا من خلاله إلى مواصلة المقاومة وتوحيدها، وقد استمر في مقاومته إلى أن قام الأمير عبد القادر بتعيينه خليفة له على إقليم مليانة.

4 - ثورة محمد بن عيسى البركاني بشرشال

كحال أغلب سكان المتيجة، فقد إ لتف أيضا سكان شرشال حول الزعامات القبلية والدينية من أجل مقاومة المحتل الفرنسي، و قد إ نتخبوا محمد البركاني قائدا لهم ليقود ا لمقاومة، حيث قاوم الفرنسيين لمدة ثلاث سنوات، ثم إلتحق بالأمير عبد القادر عن طريق صديقه محي الدين بن المبارك، وقد كانت تربطه صلات وثيقة مع زعماء المقاومة في المتيجة، مكنته من الاستفادة منها فيما بعد عندما تولى خلافة المدية، مواصلا مقاومته إلى جانب

الأمير عبد القادر إلى أن استشهد في معركة الزمالة الشهيرة سنة 1843.

5 - ثورة سي أحمد بومزراق

بالرغم من إ علان باي التيطري مصطفى بومزراق خضوعه للفرنسيين ، إلا أن الجنرال كلوزيل إتهمه بالخيانة وقام بإستبعاده وتعيين مصطفى بن عمار خلفا له، وذلك لمساعدتهم في قمع إضطرابات الإقليم، و دفع أسر الباي مصطفى بومزراق ونفيه إلى الإسكندرية إلى قيام إ بنه سي أحمد بومزراق من قيادة الثوار بالمدينة ، واستطاع بفضل حنكته وخبرته العسكرية من ت حقيق عدة إنتصارات على الفرنسيين، و ساعده إستقراره بالمدية من تجريد الشعب للجهاد، ثم في سنة 1834 أعلن ولاءه للأمير عبد القادر.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن هذه الثورات كانت بحق ردود فعل أولية متفرقة؛ مثلت حركة مقاومة عنيفة، و إستطاعت أن تخلق صعوبات متعددة للمحتل خلال سنوات 1830 - 1834، جعلته يعيد حساباته ويغير من إستراتيجيته من خلال التخطيط بطرق شتى لدخول المتيجة والبليدة والمدية، وربما هو الأمر الذي عطّله عن مد نفوذه إلى اقليمي شرق وغرب الجزائر، تاركا الفرصة لزعامات وطنية أخرى من أن تقود ا لمقاومة الوطنية والدفاع عن وحدة التراب الوطني لـ(الأمير عبد القادر وأحمد باي) وأن تحضر نفسها للمجابهة.